النشاط الثقافي في الوطن العربي

لبنان

موسم المحاضرات ...

بدأ الموسم الثقافي في بيروت بما يبدأ به كل عام من فيض المحاضرات والمهرجانات في النوادي والمجتمعات .

وكان من انجح المهرجانات ذلك الاحتفال الكبير الذي اقامته جمعية متخرجي كلية المقاصد الاسلامية في بيروت بمناسبة ذكرى معركة بورسعيد والذكرى الرابعة لثورة الجزائر الباسلة . وكان في اقامة هذا المهرجان مغزى كبير يكشف عن تصميم الشعب العربي في لبنان على ان يقف ابدا الى جانب اشقائه في الكفاح ضد الاستعمار والصمود تجاه المؤامرات .

ويشارك في هذا النشاط الموسمي للمحاضرات هيئات كثيرة منها الندوة اللبنانية والنادي الثقافي العربي وحلقة الثريا واتحاد الجامعيات وسواها من المؤسسات الثقافية في لبنان .

على ان من يرصد الحركة الفكرية في لبنان لا بد ان يتساءل عما تخفيه هذه الالوان من النشاط خلفها .. فهي سريعا ما تتلاشى في اعقاب الربيع من غير ان تترك اثرا باقيا في النفوس ، لتعود في اوائل الخريف بفيض جديد من المحاضرات .. والواقع ان هذا النوع من النشاط لا يكفي على الاطلاق لخلق تيارات جديدة في الفكر والثقافة بلبنان ، لانه غالبا ما يدور في فلك بعيد عن الهموم التي تشغل العالم العربي ، ولبنان من صميمه . فان المستمعين بحاجة الى ان يشعروا ابدا انهم مرتبطون كل الارتباط بمصير البلاد العربية الشقيقة في هذه الفترة من تاريخها العصيب : وهذا الشعور يحتاج الى تمكين وتعميق ، ولكن كثيرا من المحاضرات التي تلقى هنا وهناك تظل في منأى عن هذه الهموم ، ولذلك يبقى اثرها هزيلا في النفوس ، مهما تعمقت الموضوعات التي تعالجها ..

جامعة جديدة

كانت جمعية البر والاحسان في بيروت قد بدأت بتشييد بناء ضخم لانشاء جامعة جديدة فيه . وقد اعلنت الجمعية اخيرا ان وزارة المعارف المصرية قد تبنت هذا المشروع وقررت الانفاق عليه بحيث يكون فرعا للجامعات المصرية الكبرى .

ولا شك في ان قيام هذه الجامعة الجديدة التي ستبدأ اعمالها في السنة القادمة حدث ثقافي هام ، اذ انه يرمز الى اقامة مؤسسة فكرية عربية مهمتها استخلاص الطلاب اللبنانيين العرب الذين ينهون دراستهم الثانوية ويتوجهون الى الدراسة الجامعية من تأثير الجامعات الاجنبية القائمة في لبنان ومن توجيهها القومي المنحرف في اغلب الاوقات . ولا شك في ان هذه الجامعة العربية الجديدة ستعمل على تأصيل الثقافة القومية العربية وعلى تخريج جيل جديد من الشباب المثقف مدعو الى الاسهام في معركة القومية العربية المنتصرة .

الادباء يرفضون تقييد الحريات

اصدر فريق من الادباء في لبنان البيان التالي :

جرت تقاليد الشعب اللبناني العريقة على ان يقدس الحريات العامة وان يتمسك بهذه الحريات جهده، وان يحرص على ممارستها كاملة في نطاق احكام الدستور والقوانين المطابقة لهذه الاحكام ويرفض ان تتعرض حرياته لاي عبث واضطهاد او تقييد او تعطيل .

ولهذا رأينا الشعب اللبناني يقف بمختلف فئاته واحزابه وهيئاته تجاه مشروع قانون التوقيف الاداري موقف الرفض والانكار ، ذلك لان هذا المشروع فضلا عن مخالفته لتقاليد الشعب يناقض شرعة حقوق الانسان ، كما يناقض دستور البلاد وينسف استقلال القضاء اللبناني الذي هو الركن الاساسي لقيام الحرية والعدالة .

ونحن حملة الاقلام في لبنان نرى في مشروع القانون هذا ، زيادة عما تقدم ، تهديدا خطيرا لحرية الكلمة والرأي والفكر والنظام الديمقراطي من اساسه وهدما لاهم المرتكزات الوطنية والقيم الاستقلالية التي يعتز بها لبنان .

لهذه الاسباب كلها نشارك فئات الشعب واحزابه وهيئاته رفض مشروع القانون المذكور رفضا قاطعا ونطالب بقوة ان يبادر الى سحبه ابقاء على قيمنا الانسانية وحفاظا على حرياتنا وصونا لاسس النظام الدمقراطي وحماية للشعب والوطن من عوادي التعسف والاستبداد .

عبدالله العلايلي . جورج حنا . سهيل ادريس . عبدالله لحود . محمد النقاش . علي سعد . منير بعلبكي . حسين مروة . موريس صقر . توفيق ابراهيم . رياض طه . رضوان الشهال . محمد امين دوغان . احمد سويد . حسن الامين . جعفرشرف الدين . كلوفيس مقصود . خيرات بيضاوي . جورج جرداق . اسعد المقدم . صلاح كامل . محمد عيتاني . مصطفى قصاص . محمد ابراهيم دكروب . ميشال سليمان .

قميص الصوف

الطبعة الثانية

بقلم القاص الكبير

توفيق يوسف عواد

الناشر : دار بيروت

النشاط الثقافي في الوطن العربي

سوريا

من اصداء المعركة

سوريا جبهة الأمة العربية

لمراسل الآداب » الخاص

من يلقي نظرة ملتاعة مشوقة ، مجنونة البحث ، تنقب بين الرجال والافكار والبطولات والكلمات ، عن رجل او فكرة او بطولة او كلمة ... من تهوسه ارادة الخلق لان يلقى الخلق معانقا حواسه ، مسكرا وجدانه ، مجددا ترياق ثقته ببعث وشعب وتاريخ .. من ينسل من انضجة الصوت الصحيح ، ومن الريق الملمة الطفلة ، ومن يقبض على ساعة حقيقية من ساعات وأيام وزمان مكوم نفسه على الوجود فيتمنى مثاله الوجود ، ويشرئب اليه كصورة لحياة لا بد ان تخلق نفسها يوما من موتها وركامها ...

ماذا يلقى هذا المهووس البائس ؟

وهذا هو عام بكامله ينصرم على امة ..

ان قدرا رهيبا رائعا ، قدر الامة العربية الغافي منذ ماض أشبه بالأزل ، يثب من اعماقها ليبدع لها تلك الاحداث الكبرى الفاصلة من حرب الجزائر المقدسة الى حرب السويس الى معركة ضارية في سوريا .. الى توثب في كل وجدان عربي ... توثب نحو ماذا ، نحو ما لا يمكن تحديده في هدف او كلمة .. نحو ما يبقى منفتحا دائما من افق الى افق امام ارادة الوجود العربية ..

ومع هذا ، فان كل هذا الموسم العظيم من الاحداث العظيمة انما هو من مستوى الامة كارادة مطلقة عامة تنبثق من سحيق التاريخ . احداث عظيمة ! ولكنها لم تلد بعد الافراد العظام الا بقلة أقل بكثير مما يوازي هذا الانبعاث الخصب ..

وفي سوريا تسبق الاحداث رجالها ، ويتخطى الشعب قادته ، ويثب الى الامام جيل ، لا يدفعه غير قدره الخاص ، مؤمن بذاته وبشعبه اكثر من اي ايمان يدعيه اي موجه او قائد .. واما عمل القادة فاللحاق .. اللحاق بمن كانوا يجرونه وراءهم من قبل ، وينقصهم دائما قدرة على فهم طموح الشعب ، ايمان بنبل الشعب وصفائه ، عقيدة بالرسالة وليست بالمساومة ، عقيدة بحركة التاريخ العربي ومطاوعة تاريخ الانسانية له ولمثاليته الجديدة ..

ان المحصول الرائع الذي جناه الشعب ، بعد عقم الاحقاب وجدب الانسان ، ومعاندة القدر ، لا يكافئه اليوم الا استطاعة حقيقية على فهم الشعب وما حققه من تطور عظيم في عقائده ومدنيته المنبعثة وبطولته الكامنة . ولا يوازيه الا الارادة الطيبة في تنظيم ثماره ، في كشف اقصى ما يملك من امكانيات الحياة الجديدة وما تتطلب من عمل ثوري شامل .

ان امكانيات البعث كلها ماثلة اليوم بعمقها ونضارتها وثرائها تلقاء وجدان بريء لا تعميه غاشية عنها . ولكن .. يبقى النظام ، ورجال نظام يحولون الممكن الى واقع ، والروح الى جسد ، والمثل الاعلى الى حقيقة ..

هكذا نجد مرة اخرى في سورية ان تطور الشعب قد سبق كل امل لمتحمس ، وكل نبوءة لمتنبىء .. حتى ان الذين غرسوا يوما في تربته بذور هذه الثورة وهذه الايجابية الخلاقة ، دهشون الان من هذه الجذوع الجبارة التي سمقت فوق رؤوسهم ، واصبحت اعلى حتى من تطلعهم ومن قدرتهم على الصعود .. ومتابعة تصعيدها هي .

ما من دعوة الى الصمود الا ويتهافت عليها كل انسان بريء في هذا الشعب وما اعمقها من براءة فاتحة ! وما من نداء الى التضحية ، نداء الى البطولة ، نداء الى القوة والكرامة — الا ويتخطى المليون ثقة دعاتهم وقدرتهم على استيعاب هذا الحشد الهائل من امكانيات الحرية والبذل الحقيقي .

وفي سورية اليوم ما عاد يمكن التفريق بين نخبة موجّهة وسواد موجّه ، بين طليعة فاتحة وشعب مقود .. ان هذا الجزء من العرب ، شعب سورية العربي ، ينقلب الى طليعة للازمة العربية . وتشعر سوريا أنها في هذا التوالي الخصب لمراحل النصر والظفر الموعودة به الامة مذ كانت امة عربية ، انها تصنع مستقبل الدولة العربية الواحدة ، وانها تؤكد تحولا عظيما لتاريخ الانسانية المتجه بارادة السلام الاصيلة المنبعثة عن شعوب الشرق .

المقاومة الشعبية — لعفيف بهنسي — (دمشق)

النشاط الثقافي في الوطن العربي

والاجنبي يريدها لسورية معركة خارجية دائما وأبدا ، تقف على الحدود بعد ان كانت تلغم اسس الوجود لها . ومعركة تستنفد جهد الشعب ، صبر الشعب ، صمود الشعب .. حتى تنهار عقيدة الحياة الجديدة ، وتتهافت كرامة وليدة ، وينقلب الجمهور البطولي على بطولته وعلى صانعي هذه البطولة .. معركة تبغي أن تبقي على توتر الرجال والنساء والاطفال لحرب ولكن ليس لحربفي الوقت ذاته .. معركة لشل العمل ، لتعميم الكآبة ، لاشاعة اليأس .. يأس المحاربين من انه لن تكون هناك حرب ، ومع ذلك فهي حرب .!

الجيش النظامي ، وجيش المقاومة الشعبية ، وجيش الفتوة ، واكتاف عراض تتناطح في دروب المدينة بحديد البندقيات الثقيلة . والالبسة الحاكية استغرقت قامات الرجال والنساء .. وتلاشت اناقة ، وحل غبار ... ونعومة البنت الشامية حديد وراء حديد السلاح ، وسياسة النظر والجدل والمقاهي عند الشباب ، هي اليوم سياسة فيحفر الخنادق، في حمل البنادق ، في ايقاع الجيش الضارب على الطريق الى المعركة .

واخيرا ليتهم يتخطون الحدود ..!

ان احدا لن يجرؤ على مجابهة امة جديدة ، خاصة وانها امة عربية ، لا تعرف الا الصدر او القبر من الوجود ... ومضت ايام القبر ، وحانت ايام الصدر !..

ويسالونك عن الثقافة ، عن جريدة وكتاب ومجلة .. لمثل هذا الشعب ، في مثل هذه الظروف !.

يكفي ان يقول القارىء قبلي : ان الشعب يصنع خميرة وجوده ، ومن هذه الخميرة سيتصاعد كل مثل اعلى حقيقي في فن وفكر ...

الاجنبي يريدها معركة دفاع عن مجرد الوجود الخام الفيزيائي ، كيما يؤخر دائما معركة الانسان فوق هذا الوجود ، معركة العلم والفن والتنظيم الاجتماعي ..

انه يهدف الى ان يجعلنا بدون اي استقرار لننشيء مخبرا ، ونفكر في كتاب ، وننظم قوت الشعب ورفاهيته .

ومع ذلك فان تحديه لمجرد حياتنا ، لا يجعل منا الا ابطال حياتنا هذه!

ومع ذلك ، ونحن نحقق المعجزات ، فان علينا ايضا ان نبرهن على ان لنا معركتنا الداخلية كذلك، معركة ضد الجهل والجوع ورواسب الماضي ..

وان الشعب لقادر ايضا على ان يفتح هذه الجبهة الداخلية، وما على قادته الا ان يحسنوا الظن كذلك في قواه الخاصة بهذه الجبهة ..

ان الشعب العربي بسوريا اصبح جيشا كاملا ، ومدنه حصونا وبيوته قلاعا ، وهو في الوقت ذاته قادر على ان يكون جيشا في حقل العلم والفن والصناعة وتنظيم سبل العيش اللائق به ، شرط ان تنظم له هذه المجالات التي تؤسس هيكل الحضارة لتاريخنا الجديد .

ولقد وقع الموقعون على الاتفاقية الاقتصادية مع الاتحاد السوفياتي ، ومن قبل وقعوا الاتفاقية الثقافية مع مصر لانشاء ثقافة عربية موحدة ترتفع بالجيل الى مستوى اهداف الامة منه . وكلا العملين يعتبر خطوة جبارة لصنع حياة سوية ثقافية متوازنة اقتصاديا للشعب ..

غير ان توقيع الاتفاقيتين لا يعتبر انجازا لهما ، بل ان اقصى ما فعله هو انه وضع هدفين جبارين امام نهضة الشعب ، يتحديان حقيقة هذه النهضة . انهما هدفان ثوريان بكل معنى الكلمة :

فالوحدة الثقافية يراد منها ثورة ذات شقين ، ثورة على عقلية القرون الوسطى في مجتمعنا ، وثورة على الثقافة المزيفة المرتبكة التي زرعها المستعمر الغربي في عقول اجيال متتابعة . وهذه الثورة ، في شقيها ، تحاول ابداع عقل عربي علمي عصري موحد ، يبني اسس الوحدة العربية من جذورها الفكرية والحضارية .

والاتفاقية الاقتصادية مع روسيا تعني بداية ثورة على نظم الانحطاط المادي التي ما زالت تسود واقعنا الاجتماعي . وهي في جملة بنودها انما تهدف الى خلق طاقة مستمرة رخيصة من الكهرباء . وهذه الطاقة هي عماد الصناعة ... فكأن الاتفاقية اذن تمهد لبلادنا الدخول الى مرحلة عصرية جديدة ، فيها تتحول الى بلاد منتجة صناعيا وزراعيا ، بعد ان أراد لنا المستعمر ان نبقى زراعا .. واية زراعة ، انها ابتدائية الانسان المنصرم !..

ولكن هاتين الثورتين ، لا تعنيان التهديم بقدر ما تعنيان الخلق والصنع والانشاء . انهما تهدمان واقعا فاسدا لتشييدا واقعا انسانيا لائقا .

ونحن قلنا ان الاتفاقيتين ان هما الا هدفان وضعا وجها لوجه مع حقيقة النهضة عند شعبنا ... وهذه هي معركتنا الداخلية ... ان كل متفائل لا يسعه الا الانقباض عندما يجد آلة الدولة اعجز من ان تلبي العمل الرتيب الاعتيادي الذي يمت الى واقع الموت .. واقعنا القديم ، فكيف

مجموعة تراث العرب

صدر منها

		ق.ل
١ ـ	**لسان العرب** ٦٥ جزءا ثمن الجزء	٣٠٠
٢ ـ	**معجم البلدان** ٢٠ جزءا ثمن الجزء	٤٠٠
٣ ـ	**طبقات ابن سعد** صدر منها ٢٠ جزءا ثمن الجزء	٢٠٠
٤ ـ	**رسائل اخوان الصفاء** صدر منها ١٠ اجزاء	٢٥٠
٥ ـ	**البخلاء للجاحظ**	٦٠٠
٦ ـ	**شرح ديوان ابن الفارض**	٥٠٠
٧ ـ	**شرح ديوان سقط الزند**	٥٠٠

الناشر : دار صادر ـ دار بيروت

يمكنها ، هذه الآلة العثمانية المخضرمة بين جميع عهود الاستعمار والاستغلال الداخلي .. كيف يمكنها ان تكون هي اداة الثورة ، وهي وسيلة لاعظم خـــلق ..

وامامنا مثل قريب اليوم .. فقد بدىء بتنفيذ مراحل انتقالية للانفاقية الثقافية .. وهو تنفيذ يبدو غامض المخطط في عقول محققيه ، مرتبكا اشل في ايدي القائمين عليه ، وكل ذلك لان الجهاز الذي كان لا يملك من الثقافة الا وجاهتها ونفوذها، والذي اشرف على ثقافة العهود الماضية هو نفسه الذي سينفذ هذه الثورة ، او بالاحرى سيجهز عليها بنية طيبة او سيئة .

ان الشعب لا يخشى اليوم على شيء خشيته على محصلته الثورية من ان تستنفذها عطالة الاجهزة القديمة والعقول الجاهلة والنوايا الحائنة.. وهو يشعر ان معركته الداخلية ستظل افجع واقسى من معركته مع اعداء واضحين على الحدود ، انها معركة مع النفس وضد النفس ..

ولهذا فانه يتحرق لان يضع له قادته مرة اخرى شعارات ثورته الداخلية ضمن مباديء واضحة وضوح السياسة الخارجية ، عملية ومباشرة ، لا موارية ، ولا تجميع قوى بريئة واخرى شيطانية ..

واما وحدة الصف الداخلي ، فهي وحدة حقيقية وانقى واقرب الى تصديق الشعب ، عندما تذوب منها عناصر الاستغلال والرياء ، الرجال الذين ما كانوا يوما من صف الشعب او من وحدة الصف الداخلي ، الا مسايرة الظروف ، ومتاجرة ببضاعة جديدة من مباديء الامة ..

ومن التناقض الصارخ ان تكون سوريا تملك هذه الجراة الخارجية الصافعة التي تتحدى اعظم الدول واقسى قوى الطغيان والشر ، ولا تملك في الوقت ذاته القدرة على تنظيف الاداة الحكومية والاستغناء عن عفن الذل ، وضمائر الخيانة والجبن..

والشعب يعذر ويقبل الاعذار ، ويصبر ويشجع على التفاؤل بصموده. ولكنه ما عاد ليطمئن كثيرا الى الايدي والنيات التي ستحقق انتصاراته الداخلية على جوعه وشقائه وظلام عصوره المنقرضة .. لا يثق بالايدي التي يمكنها ان تحقق وحدة الثقافة ونهضة الاقتصاد .. هذان الهدفان اللذان ما كانا مجرد شعارات لالهاب الجمهور واثارة حماسه ، ولتداولها في خطب ومهراجانات .. هدفان هما عمل الامة الكبـــر ، ولا يمـكن ان يقتنع الشعب الا اذا تحركت يداه ، في مفاتيح معامله ، كما تتحرك اليوم في زناد اسلحته ..

هذه هي الحقيقة الصريحة الواضحة التي يحدس بها وجدان الجمهور. انه ينتظر ان تتحول انتصاراته المتوالية الى واقع حي متكامل .. وانها لمعركة اخرى وطويلة وشاقة ، ولكن فلنبدأ بفتحها . تلك هي العقبة الاولى الاخيرة ...

دمشق م . ص

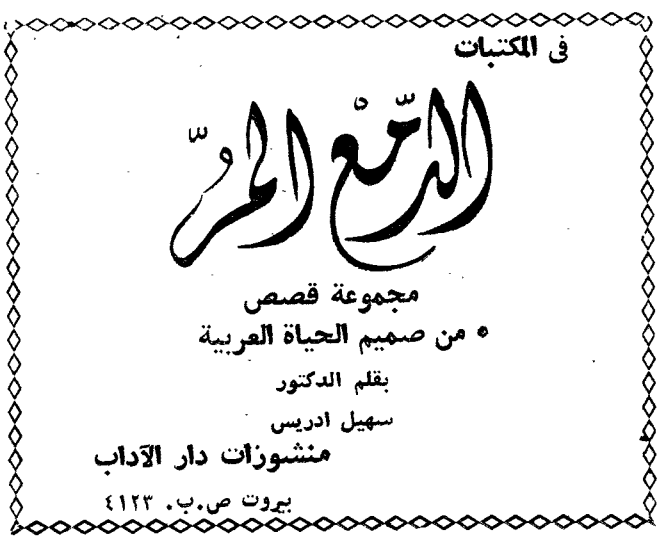

العراق

أول فيلم عراقي نظيف

«من المسؤول ؟»

ابدأ بالقول ان هذا الفيلم ، بالرغم من كل اخطائه ، فيلم ناجح نسبيا ، لانه يخلق بذور الشخصية المتميزة لفلمنا العراقي الحديث ، ولانه يخطو واو مجرد خطوة ، نحو التطور التكنيكي والفني والنفسي لفننا السينمائي العراقي .

تدور قصة الفيلم في الاوساط الشعبية العراقية وبطله جودي ـ كاظم المبارك ـ يقع في غرام معصومة ـ ناهدة الرماح ـ التي رآها ، او هكذا اراد المخرج ، على عتبة باب دارهما تدفع عن اهلها شر عراك شعبي في ذلك الحي القذر الذي عاشته .

ويتطور الغرام خطوات سريعة جدا فاذا بمعصومة تخطب لجودي ،واذا بجودي هذا يفاجأ ، « ليلة الدخلة » ، ان عروسه ليست بكرا ، انها مغواة من قبل شخص ما .. ويظل الزوج الشاب الغيور يلح على زوجته ان تكشف السر ، لكنها تتمنع ، ثم تكشفه تدريجيا للزوج الذي سرعان ما يعفو.

ويعيش الزوجان حياة «سعيدة» ، ولكن الهواجس وتبكيت الضمير والصراع الذهني الجبار ينهش معصومة ورثة معصومة ليفتح الطريق الى المرض ، فتصاب معصومتنا بالسل لتنقل الى المستشفى .

وفي المستشفى يعيش الصراع عالي الزخم ، دقيق الصدى ... ان الدكتور الذي فحص معصومة هو الذي اغتصبها ، وهي تعرفه وتود ان تتجنبه .. تود ان لا تعالج .. تود ان تموت ..

ولكن الزوج لا يفهم السر .. اولا ثم يفهمه اخيرا حين تلفظ معصومة انفاسها الاخيرة بلا علاج .. وما السبب ؟ لان دكتورنا مشغول بغرامياته واستهتاراته .. ولانه ، ببساطة ، وحش في صورة انسان !..

وهنا تتعالى سمفونية الفلم هدارة بكل ما يبهر النفس ويثير العصب ... ان جودي الان معطل الحواس .. انه مجرم .. انه في طريقه للثأر من الدكتور مغتصب الزوجة وقاتلها .. وهكذا ، وبغمضة عين ، يهوى جودي بشيء ما على رأس الدكتور ، ويموت الدكتور .. حالا .. بتأثير الجراح الفظيعة !

وما الخاتمة ؟

لم يبق شيء سوى ان يجن او « يتجانن » بطلنا لينقذ رقبته من حبل المشنقة .. هذا ما حدث فعلا فقد ارسل القاتل المجرم .. الزوج المسكين المنكوب باكثر من نكبة الى مستشفى المجانين ..

ثم ... اطلق سراحه بعد ثلاثة اشهر فحسب ، ليقص القصة على عزاوي العطار ـ عزاوي الذي شارك في حوادث الرواية ـ وعلى صاحبه الاخر.. وليصيح اخيرا .. « من المسؤول ؟ »

ويسدل الستار ... وتكون النهاية

هذه هي الخطوط الاساسية لقصة الفلم .. وما تبقى بين تلك الخطوط ليس الا حشوا لا بد منه .. وليس الا لبنات ضروريات لتكامل قصة الفلم ...

وبعد فاين الازمة ؟

في رأيي ان الازمة في قصة الفلم ذاتها .. فعنوان الفلم « من المسؤول؟» يجب ان يعيش الفلم كله او جله على الاقل .. ولم نعرف من المسؤول ... وايا يقصد بذلك وعم يراد ان تفهم المسؤولية وتحدد . .

ان التهافت في قصة الفلم كان جليا جدا لكل مشاهد . وبالرغم من الافتعال قد اندغم احيانا في تناقضاته مع الحقيقة الواقعية ، الا انه برز لنا ان كامل الفلم في قصة مريض يشكو الكساح .. ولست لاقصد بذلك السيناريو والسرد وو... وغيرها من منطلبات الفلم ، وانما عنصر الاقناع الذي فقده الفلم ، للاسف .

طبعا لم يكن الفلم مجموعة اخطاء كما اراد بعضهم بل انه كان معرضا طيبا للجيد والرديء . كان قطاعا من الحياة بما فيها الطيب والخبيث ..

ان احتجاجي لا يكمن في خاتمة الفلم ولا في بدايته ... وانما على مجموع القصة كما ابرزها الفلم . وفي رأيي تقع المسؤولية بالتضامن والتكافل بين القاص ادمون صبري وبين المخرج الاستاذ الفاضل عبد الجبار ولي ..

وهذه المسؤولية ليست امرا يضيق به الصدر ويحرج .. وانما هي شرف يجب ان يتيه به المخرج الشاب المثقف من الجمهور ، هي امر مشرف حقا ، وهي كما تبدو لي طبيعية بالنسبة الى الاستاذ ولي ، ولا بد انه سيظهر تفوقا على ذاته وواقعه في قابل السنين بل الايام . ورأيي هذا تبرره الالتفاتات القيمة الناجحة جدا التي قام بها لاول مرة في تاريخ فلمنا العراقي والعربي ، الاستاذ ولي ..

ليس الحب حراما في الاوساط الشعبية فهو احد اهم الخصائص الانسانية الدمقراطية للانسان ، ايما انسان ... وليس الاغتصاب والجريمة بشيء غريب على بيروقراطيي الدولة ورجالها ، ومنهم الدكاترة ... واخيرا ليس جنون شاب متزوج حديثا ، ومنكوب كل هذه النكبات ، بالامر الشاذ ولا بالعجيب .

ان احتجاجي يتضح ، كما اتضح احتجاج ايما متحمس بالفلم قصة ، في الافتعال المتعمد لامور لا واقعية ، وفي الحشر الفوضوي الرخيص ، وفي التكلف اللامشروع بالمرة لامور لا مبرر لها البتة .

واسارع فاقول كيف « ستر » الزوج « جريمة » زوجته وهو الشاب البسيط الغيور ابدا ؟ ثم كيف برر القاص والمخرج معا مجيء المريضة الزوجة المغتصبة الى الدكتور .. الدكتور نفسه الذي اغتصبها .. هل خلت البلاد من الدكاترة .. ام ان الصدفة العمياء تلعب لعبتها ؟!.

ثم كيف جن الزوج .. وكيف اطلق سراحه ؟ وكيف مات الدكتور ... الدكتور الشاب المعافى باول ضربة ؟

واخيرا ، وليس آخرا كيف عدنا جميعا ، الى البار نسمع القصة ... وبالاسلوب السردي من فم البطل المجنون الذي « عقل » اخيرا .. نسمع القصة التي يقصها لاصحابه الذين شاركوا في اطار الفلم وتضاعيفه ..؟!

لست افهم كل هذا .. ولكني اسميه استغفالا وسذاجة ..

انه سذاجة في الحبكة ... وسذاجة في تطوير القصة والفلم ... وسذاجة في « الواقعية » . وسذاجة في الربط والحياكة والبداية والخاتمة !..

واعتقد ان وصف ما حدث بـ « سذاجة » هو اطيب ما يمكن ان يقال.. لان المحاولات لا زالت بدائية .. ولان رجال السينما العراقيين لا زالوا على العتبة .. ومن كان بدائي المحاولة هكذا ، ومن عاش على العتبة لا بد له ان يخطيء .. ولا بد ان « يسقط » نفسه شعورا ولا شعورا فيكتشف ذلك كله عن سذاجة وبساطة وخامية !.

ولكنها سذاجة شريفة .. وخامية نظيفة .. وهذا ما اريد ان اقول ..

فبالرغم من ان المخرج قد تأثر بافلام المدرسة الايطالية الواقعية فاني ارى انه لم يسلم من المدرسة اليهودية التي زرعت فيه الافتعال والتكلف وترك الامور للصدف ... وللمقادير .. ولدراسة الاستاذ ولي في اميركا اثر في كل ذلك !

فاذا جئنا الى الاخراج ، وجدنا انفسنا نقول ما قلناه عن القصة مع استثناء لفتات طيبات جاء بها المخرج المتقف . واخطر ما وقع فيه من اخطاء هو اعتماده الطريقة السردية في الفلم .. البطل يقص قصته على اصحابه .. ويذكرهم بادوارهم السالفة في القصة .. ويدور بهم ، ونحن جميعا ندور معهم ـ عبر تضاعيف القصة ومنطوياتها لنعود الى البار ... البار الذي بدأنا منه القصة ..

هذه الطريقة السردية لم تكن واقعية موضوعا ، ولم تكن ناجحة فنيا .. انها خطأ لا ادري كيف وقع المخرج المخلص في محاولته !

ثم ان اعتماده الاخ كاظم كان يصلح لدور ثانوي ، لدور صديق للبطل.. لكل شيء الا ان يكون بطلا . انا لا انقص من قابليته التمثيلية ، ولكني أحتاج ان اقول ان كاظم كان عالة على الفلم ، كان « خشبة » كما يعبر الكثير عن انطباعاتهم فيه ..!

اما ناهدة الرماح فبالرغم من بدائية وقوفها ممثلة سينمائية ، فقد كانت موفقة جدا في تقمص الزوجة المسكينة المنكودة الحظ ، وفي تمثيل شخصية الفتاة البائسة المغتصبة ، الفتاة الذليلة .. وبنت الخبازة ..

واذا اردت ان استعرض الممتلين النانويين جميعا ، فلي ان اقول باديء ذي بدء ان خليل شوقي (في دور « سبع المطيرجي ») وابراهيم الهنداوي (في دور « بهلول الكناس ») والخبازة ، والدكتور « سامي عبد الحميد » ومحمد القيس (في دور « حنتوش ») ، كل هؤلاء كانوا موفقين في ادوارهم الثانوية . .

ومن العجيب ان ننجح كل الادوار الثانوية بينما تخفق الادوار الرئيسية نسبيا .. ولا ادري العلة في تفسير هذا .. الا ان يكون لمخرج اساء اختيار بطل الفلم ، واساء حزن ناهدة الرماح ـ البطلة ، واجاد ، وله كل تهانينا ، في اختيار ابطاله الثانويين ..

واعود الى جودي بطل الفلم .. هذا البطل الذي جنى عليه المخرج فاعتمده ساردا لروايه .. ولعله بذلك السرد اراد ان يتخلص من بعض الصعوبات التكنيكية ، ولعله اراد ان يقذفنا ، بصورة من الصور ... لكنه ، في الحصيلة النهائية فشل !.

اعود الى جودي فارافقه في دوسه على مشاعرنا ونحن نترقب تطورات القصة وامتداداتها .. ارافقه في هذا الدوش اللا مبرد ... لاخلص معه الى الهوة التي بدأت تعمق اشمئزازنا من الافتعال ... بل سلسلة الافتعال التي وقع فيها المخرج لينفذ نفسه وفلمه من الورطة التي تورط فيها ..

ان جودي هذا يحدث صديقه عزاوي عن حوادث شارك عزاوي فيها بل ان جودي هذا يحدثنا عن امور قام بها عزاوي لمفرده ، ولوحده .. وهذا شيء عجيب جدا .. فكيف تسنى لجودي ان يسمع حديث عزاوي مع الطفلة الصغيرة ومع الطفل صاحب المصيدة ؟

فهنا يعيش الواقع منفصلا عن الفلم ، فبالرغم من واقعية موضوع الفلم كان المضمون لا واقعيا هنا ، وكان الشكل لاواقعيا ايضا .. وهذا اكمن يرسم لوحة لفلاح فيبرزه سعيدا مع قفص للطيور او مع بدلة لا يحلم ولا يجرؤ على الحلم بها ..

ثم كيف يعلم جودي بتصرفات سبع المطيرجي على السطح .. والمفروض في جودي هذا انه منهمك بعمله في القسم البلدي ... هل طار جودي هذا الى السطح .. وحط في دكان عزاوي العطار .. لا ادري !

ولو جعل المخرج شخصا اخر يتحدث عن القصة بتضاعيفها هذه... لاستطاع ان يقذفنا .. ولكن ان يقص البطل حوادث وملابسات وتفاصيل تافهة لم يعلم بها فذلك امر لا يحتمل البتة .. وحتى اذا قلنا انه سمع بها اخيرا .. فكيف يتسنى لنا نحن ، الجمهور المتفرج ، ان نلمسها في عمله هذا وكيف نقتنع بصحة ذلك وجودي في واد .. واصدقاؤه في واد ؟!

ثم ان جودي هذا قد كان دمية .. ومجرد دمية في يد القدر ! والا فكيف نبرر له حبه وزواجه وتردده بزوجته على الدكتور المغتصب ثم سل زوجته والاتيان بها الى المستشفى الذي يعمل فيه الدكتور ذاته .. ثم موتها .. ثم جريمة جودي في قتل الدكتور والنجاة عبر جنون «مؤقت»!

ان لم يكن جودي دمية .. فانه معجزة !

وكلا الدمية والمعجزة .. امران لا واقعيان للاسف !..

وللتحدث عن الاخراج مليا ينبغي لنا ان نتحدث ولو بايجاز عن التمثيل وعن السيناريو والحركة والحيوية والتشويق والصراعية في الفلم بمجموعه ..

اذا كان الفلم قد نجح بعرض سريع لشوارع بغداد ... فانه لم ينجح في لقطة البار ... لقطة البار التي حفرت قبرا لبعض مقومات الفلم .. واهمها واقعية مضمونه وشكله .

ان لقطة البار هذه قد اقتحمتنا في الطريقة السردية .. ثم انها ، على قصرها النسبي في بداية الفلم ، قد ادخلتنا مداخل الافتعال والتكلف ... فالبارمان ـ صاحب البار ـ كان فاشلا .. « وحنتوش » الذي سيبدع بعدئذ جامد او اريد له الجمود ، لعلة ، هنا .. وعزاوي « الدون كيشوت » يفشل حتى في ارهاب البارمان من اجل « النقل » و « المزة » لمائدة الخمر للاصدقاء الثلاثة ..

كان الحوار فاشلا وكانت « او يلاخ يابه » واشباهها نشازا في البار .. فالبارمان لم يكن سكران ولم يكن ابله .. ولكنه تصرف كأنه ذلك.. وجلسة الاصدقاء كانت مائتة رغم عناصر التشويق في تضاعيفها .. فجودي « مشدود » الى الكرسي وزاوي يتباله ـ ولا ادري لماذا ـ وحنتوش يضحك لسبب ولغير سبب ..

وزبائن البار ، ذلك اليوم ، كانوا طبيعيين او قل اللقطة قد اظهرتهم كذلك ... ولو كان هؤلاء الزبائن قد تصرفوا تصرفا ينم عن المشاركة الذهنية والسيكولوجية لوجدنا هنا حصنا للفلم ولاسعفنا جماعية برشفات منعشات ..

وننتقل الى القسم البلدي .. واهم ما فيه مشية بهلول الكفاسي « ابراهيم الهنداوي » وقد كانت « رائعة » روعة دور بهلول نفسه . اما قفزة سبع المطيرجي امام جودي في تدخله لفض النزاع بين معصومة وجاراتها فكانت هي الاخرى رائعة . الا ان جودي ـ وجودي هو البطل ـ كان مرتبكا .. وله العذر فمحاولته هذه هي البداية وكل بداية تحفل بالاخطاء ...

وتعيش تصرفات جودي المرتبكة والمفتعلة كثيرا حتى نوشك على الانفجار في وجه جودي ، او كما عبر عنه ذلك احد المتفرجين « هاي شيخلصها ويه هذا الجودي » ـ متى ستنتهي مع جودي هذا ؟ »

ومع ان المخرج كان بامكانه ان يخلق مواقف غرامية بسيطة ـ ولا اقول حية ـ بين البطل والبطلة ، الا انه ، للاسف ، لم يفعل ذلك . واعتقد انه لولا ذلك شخصية شعبية طيبة ولكنه ، في القلم، دور ثانوي .. ومع ذلك فقد انقذنا وانقذ الفلم من كثير من الحرج وفقر الدم وفقر الحيوية التي رأينا ...

والحوار بين جودي وبهلول كان لطيفا لطافة قطعة حية او قطاع بسيط من حياة الشعب . ولكن غرفة جودي وصمتها وصمت جودي ـ المغرم ـ كان ذلا للفلم كان موتا .. لقد حنطنا جودي هذا !

ولكننا ستدخل بيت معصومة ،وفي بيت معصومة هذا نلمس بهلولنا اللطيف ونعيش معه حياتنا التي نعرف .. انها قطعة اخرى من الحياة ... قطعة ناجحة فنيا وموضوعيا ـ الخبازة ـ ام معصومة ـ بتصرفاتها مع ولدها ـ سبع المطيرجي ـ ومعصومة المسكينة التي تغسل الملابس .. وبهلول « محبوب الحارة » .. ومشيته الى التنور ، ونظراته البائسة البلهاء ثم حياته في جودي هكذا : « اذا موتاليتك كناس مثلي .. بس اني هيج فلا افتهم » ـ اذا لم تكن نهايتك كفاسا مثلي ، فاني اذن ، لا افهم شيئا ـ .

كل هذه اللقطات والحوارات والتصرفات : تصويرا وتمثيلا واخراجا ، شيء رائع جدا ..

ومع ان خطبة معصومة ، كانت واقعية المضمون الا ان الافراط في « التباؤس » ـ ان صح التعبير ـ والمسكنة والمبالغة في الذلة من معصومة كان امرا لا واقعيا ... وبذلك فقد عاشق الحقيقة بل الطبيعية هنا وتنحت الواقعية الرشيقة الانشائية جانبا.. ويا للاسف !

وبالرغم من ان انتقالات بارعات كانتقال الكاميرا من « القطعة » التي كانت تترصد حمائم سبع المطيرجي الى وجه المأذون وهو يعقد قران معصومة وجودي ـ من خلف باب ـ ، كان امرا طيبا في مجموع الفلم .. الا ان هذه الانتقالات لاتعيش طويلا وتخسر لتخلف جمودا في تصرفات جودي وهو يسير الى معصومة ... « اي معصومة ! » ولتخلف كآبة لا معنى لها في وجه العريس ... كآبة من يعلم !.. يعلم الشقاء المتوقع !

ومع ذلك فقد كان العرس شعبيا..الا انني لا افهم لماختيرت تلك الطفلة لترقص ، ليلة العرس ، الم يكن غيرها مثيرا ؟! ثم هل غاب عن ذهن المخرج الاتيان بفرقة « الطبل البلدي » للمشاركة في افراح العرس .. ولو انه فعل ذلك لحقن الفلم حقنة كبيرة من الحيوية التي افتقدها وسيفتقدها وهو يسير مع جودي المسكين في قصته المفتعلة !

ونأتي الى «عفو» جودي وهو امر لا واقعي في الاوساط الشعبية ... ومع ذلك دعنا نهضم انه واقعي .. فلم اذن سكت جودي ؟ لم لم يسأل زوجته عن مكان المغتصب .. عن ماهيته .. عن عن .. او لم يبرزه المخرج غيورا جدا ؟!

ومع ذلك فلنغض النظر عن كل ذلك ولنتأمل نجاحا جديدا للفلم ... لكننا نصدم بجودي نفسه يسرد القصة ... وبلقطة البار ثانية .. اذن اين كنا ؟!

ونحن مضطرون ان « نمشي » معالفلم ... نمشي الى ان نرى الدكتور « سامي عبد الحميد ، واشهد انه قد حقن الفلم الاخر ، بحقنة كبيرة من الدم .. اشهد بذلك لانه تقمص دوره ولم يبالغ ولم يفتعل ... انه ممثل مسرحي جيد .. ولكنه ، هنا ، كان ممثلا سينمائيا طيبا ايضا ... والسر كله في انه استوعب معطى الدور ، وفي انه عاشه بأناة ...

ومن العجيب ان شخصية بهلول « الايجابية » قد طغت على الفلم كثيرا رغم دورها الثانوي .. وفي رأيي ان لقاء المخرج بالهنداوي ـ بهلول ـ كان موفقا ... ولعل حاجتنا الى الضحك .. حاجتنا الى التفريج من جو الرواية المأساوي ، ومن تضاعيفها التراجيدية المبالغة كثيرا ، لعل حاجتنا هذه هي التي خلقت بهلول وهي التي تطلبته ..!

وهذا البهلول سيرقص في سيارة الزفة .. واي رقص ؟! انه رقص مما نراه وسنبقى نراه لامد بعيد .. رقص الشعب حين يفرح:

ورقصة بهلول هذه مضافة الى حديثه مع مأمور القسم البلدي ، والتساؤل عن غياب جودي ـ الذي كان قد رافق زوجته الىالدكتور، وغاب ليحرسها ويحميها من المرض ، كانت عملا سينمائيا فيه للتوفيق حظ كبير !...

على اننا سنصدم بمأمور القسم البلديهذا .. وبضحكة بل بضحكات « فخري الزبيدي » التي معنى لها .. وسنصدم باشارات ومبالغات تحتضن معظم الممثلين : معصومة تتضاءل وتتصرف كأنها بلهاء .. وجودي يجمد بل يبيت ليلة امام المستشفى دونما « تحريك » ودونما استغراب من حارس او من رقيب .. والمرضة تتذمر وكأنها نسخة من الدكتور .. ... ثم انهيار اعصاب جودي وهو يبكي .. اجل يبكي في الدار ... والشباك ... ومجيئه لزيارة زوجته التي حجبت عنه ، حتى الآن ، سر الاغتصاب الكامل ، اعني شخص المغتصب ومن أين يسكن ؟؟

وهذا كله يقودنا الى المنحدر الذي انتهى به الفلم : ابأس قمة رأينا

لمثل هذا الصراع العنيف .. الصراع الذي كان حيا في قلب معصومة ، وقلب امها ، وقلب بهلول ، وقلب حنتوش نفسه !..

وهذا المنحدر يكشف عن نفسه فجأة .. حين يطل جودي ليسمح من زوجته معد « معاتبات » لا معنى لها .. ـ وكأننا اطفال ـ ، القصة بكاملها ... ولكن متى ؟! بعد الاقحام الذي تصور به المخرج انه سيحي الفلم ، واقصد به تذكر جودي لمعصومة بالليالي السعيدة والوحشة والفراق .. الوحشة التي لم نلمس دلالة حقيقية ومصداقا عمليا لها في وجه البطل .. وان لمسنا لها بعض الرمز والايماءة في وجه بهلول ومأمور القسم البلدي والخاطبات .. وعزاوي الصديق!.. بعد كل هذا الافتعال، يثور صاحبنا ولكن اية ثورة ؟!

انها ثورة سلبية .. زوبعة في فنجان !.. كنت اتصور وكان المتفرجون ينتظرون ان يثور جودي هذا لشرفه فيفعل شيئا ، الا انه يذهل ... ويذهل ... ويذهل ... وكأنه « امريكي » وليس شابا عراقيا شرقيا غيـــورا !!!

اما هذه اللقطة بما فيها من تمثيل واخراج وحوار .. فانها لا واقعية .. انها كذب !

ومع الذي كنا نترقب من تسارع دقات قلب جودي ـ بعد ان بلغت قلوبنا الحناجر ـ كما يقال ، فان جودي يظل في جموده .. الى ان تأتي الممرضة وتروح .. ونحن ننظر الى جودي وهو ينظر الى لا شيء.. لعله كان يجمع قواه الضائعة ؟!؟

واخيرا ... تنفلق الذرة .. واي انفلاق ؟

ستنفلق عن أبأس افتعاله ! سيطير صاحبنا الذاهل هذا ، وهو مصمم على جريمة قتل .. على قتل الدكتور المتهتك المغتصب !.. وسيبحث صاحبنا عن الـة ... سيرفع تمثالا صغيرا .. وبينما الدكتور غارق حتى الاذن في حديث داعر ... ـ او هكذا يجب ان يكون ـ مع احدى عشيقاته ينهال الزوج المضام على رأسه بضربة ... ضربة واحدة فيخر الدكتـور ميتا ...!

وماذا عن النهاية ؟

ستكون النهاية ان يخرج صاحبنا خروج المتسلل الحذر عبر الشوارع والمنعطفات ، وبين السيارات والسابلة ... انه عاقل ما في ذلـك شك .. الا انه مجنون كما يقول لنا المخرج .. هنا يتعمق الصدام بين الواقع وبين المخرج ! وهنا نشيع نهاية الفلم .. لاننا ، ببساطة سنصدم بالبطل يقص القصة : انه بعد ثلاثة اشهر فحسب من « الجنون » او من التظاهر بالجنون ... سيطلق سراحه ... وها هو الان امام اعيننا يقص القصة

اليس في هذه الخاتمة ... خاتمة امريكية هوليوودية !

نعم ! انها لكذلك .. وانها لاستغفال بين لواعيتنا ، ولاذواقنا ، وللقصة بحد ذاتها .. وانها، فضلا عن ذلك ، طعن للموضوع كله ولحديـــث البطل الاخير .. « وليته يعتقدون عقلي مو تمام » ، حتى الآن يعتقدون اني ناقص العقل ! ـ ثم .. واه من هذا الستار الذي سنسدل ـ يسدل الستار على البار والبطل بين صديقته وهو يقول ـ ولكنه غير سكران ، ولا ادري لماذا ـ «من المسؤول» ؟

اية مسؤولية .. وعمن .. ولم ..واي شخص معني بالسؤال .. واي موضوع مقصود ؟

هذه اسئلة يتركنا المخرج امامها بلا جواب ولا « تربية » عطف ولا اقناع ولا تفاهم .. وهذا كله هو اخراج وحوار وسيناريو وتمثيل فلمنا ... ويا للاسف !

وفي تكنيك الفلم اجد نفسي مرتاحا .. ولعلي استطيع ان ابرر لنفسي هذه الراحة النفسية ... ذلك لان المصور « رفيجا» الهندي قد ابدع فعلا واجاد .. والديكور الرائع كان طبيعيا جدا وكان واقعيا لولا بعض الهنات .. من قبيل بعض أثاث الزوج الفقير ، ومن قبيل ملابس الزوج ذاته، ومن قبيل تصوير المستشفى ... ولا ننسى البار فقد بدا مسرحيتـــه جدا ... وليس فيه من « السينمائية شيء !

اما الصوت فقد خرب كل ما اردت ان اقول عن نجاح التكنيك النسبي ... ولعل مهندسي الصوت لم يتساوقوا التساوق المطلوب مع حوادث الفلم تطوراته . ولعل الالات ... ولعل شيئا اخر كان سبب عدم تجاوب الصوت مع الفلم بكامله!

بقي شيء مهم هو البناء السيكولوجي ، وهنا اجد نفسي مشمئزا من جمود جودي المبالغ فيه ، ومن بعض مبالغات معصومة في المسكنة والبحة والذلة ، ومن ضحكات عزاوي التافهة .. ومن بعض ايماءات حنتوش الباهتة !

اما رقص بهلول وتصرفاته ، معظمها ، واما الدكتور المجرم ، واما ام معصومة ، واما المطيرجي ، واما الخاطبات ، واما مأمور القسم البلدي ، واما معصومة في موقفها مع بهلول ومع جودي لاول مرة ... اما كل هذه المواقف فقد كانت محركتها وحيوتها بناء متينا في كيان الفلم السيكولوجي.

وشيء آخر كان يجب على المخرج ان يلاحظه هو ان السينما حركة وصراع اكثر من رواية وسرد وذكريات .. ولو انه اعتمد الكاميرا فاكثر من انتقالاته البارعة « كابرازه قدمي الكناس ترقصان مثلا ، ولو انـه جعل شخصا آخر يقص القصة ، ولو انه اطلق سراح جودي ليعيش دوره جيدا، ولو انه قلل من مبالغات واقعية دور معصومة و « واقعية » الفلم كله ... اذن لكان الفلم على مستوى ممتاز .. ولكان ناجحا جدا ..

وبعد .. فما ظن المخرج قد غفل عن ذلك .. ولعله اضطر له ، ولعله احتمله كخطوة لا بدمنها لبناءات مقبلة في صناعة الفلم العراقي الحديث .. وكما قلت ان الخطأ قنطرة ومعبر نحو القد الاحسن .. ومن هنا اشد يدي على يد المخرج ومساعده واتمنى لهما بالغ التوفيق والنجاح..

واذا تذكرت نجاح العصبة النظيفة التي مثلت الفلم ، نجاحها الجزئي .. فاني لا املك سوى ان اقول : الى الامام .. والى الامام دائما » !..

وبعد ، فنحن ننتظر « سعيد افندي » الفلم القادم ليوسف العانـي وزملائه ـ ونتمنى انه قفزة حقة في تطوير فلمنا العراقي والعربي نحو الواقعية الحديثة كما نفهمها وكما عرفناها عن بعض الافلام الايطاليـــة واليابانية والهندية وغيرها .. وبذلك وحده يؤدي فلمنا العراقي رسالته .

بغداد — **جليل كمال الدين**